الفصل الثامن والعشرون

المـرض والوفـاة:

اشتكى رسول الله ﷺ بعد عودته من حجة الوداع في ليال بقين من صفر، أو في أول شهر ربيع الأول من العام الحادي عشر الهجري[1].

وطلب يومئذ من مولاه أبي مُوَيهِبَة أن يصحبه في جوف الليل إلى البقيع، لأنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع، وعندما وقف بين أظهرهم قال: «السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهنى لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى»، ثم أقبل على أبي مويهبة قائلا: «ياأبا مويهبة إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة». فقال أبومويهبة: «بأبي أنت وأمي، خذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها، ثم الجنة»، فقال رسول الله ﷺ: لا والله ياأباموبهبة، لقد اخترت لقاء ربي والجنة»، ثم استغفر لأهل البقيع، ثم انصرف[2] إلى بيت عائشة، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى اشتد به وجعه في بيت ميمونة[3]، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيت عائشة (رضي الله عنها)[4]، واستغرق مرضه عشرة أيام[5]، ثم توفاه الله يوم الاثنين في الثاني عشر من ربيع

---

(١) ابن إسحاق، معلقا ـ ابن هشام (٤/ ٣٨٥)، وانظر اختلاف أهل المغازي والسير في تاريخ ابتداء شكواه وتاريخ وفاته عند ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

(٢) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦).

(٣) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٧). قال ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠): «ووقع في السيرة لأبي معشر: في بيت زينب بنت جحش، وفي السيرة لسليمان التيمي: في بيت ريحانة والأول المعتمد ـ أي في بيت ميمونة».

(٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤/ح ٤٤٤٢، ٤٤٥٠)، ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٣٨٧).

(٥) قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦٠): «واختلف في مدة مرضه، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوما، وقيل بزيادة يوم وقيل بنقصه، وقيل عشرة أيام، وبه جزم سليمان التيمي في مغازيه، وأخرجه البيهقي بإسناد صحيح».

الأول[٦]. وقد تم له من العمر ثلاثة وستون عاما[٧].

وكانت عائشة (رضي الله عنها) تقرأ بالمعوذتين والأدعية الكثيرة التي حفظتها من رسول الله ﷺ، وتنفث بذلك على نفسه، وتمسحه بيده رجاء البركة[٨].

ويوم زادت درجة حرارة جسمه، طلب أن يصبوا عليه سبع قرب من ماء حتى يخرج للناس فيعهد إليهم، ففعلوا، حتى طفق يقول: «حسبكم حسبكم»، وعند ذلك أحس بخفة، فعصب رأسه ثم قام فدخل المسجد وجلس على المنبر، وخطب الناس قائلا: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». وفي رواية: «قاتل الله اليهود والنصارى...»[٩]، وقال: «لا تتخذوا قبري وثنا يعبد»[١٠]. وكانت هذه الوصية الخاصة بعدم اتخاذ القبور مساجد قبل أن يموت بخمس[١١].

وعرض نفسه للقصاص قائلا: «من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه»، ثم نزل فصلى الظهر، ثم عاد لمنبره لمواصلة حديثه في الحقوق وغيرها، فقال رجل: «إن لي عندك ثلاثة دراهم»، فقال: «اعطه يافضل». وقال آخر إنه غل ثلاثة دراهم، فقال «خذها يافضل»[١٢].

ثم أوصى الناس بالأنصار، قائلا: «أوصيكم بالأنصار، فإنهم كَرِشِي وَعُيَبَتِيْ، وقد قضوا الذي عليهم، وبقي الذي لهم، فاقبلوا من محسنهم،

---

(٦) وهو قول الجمهور كما ذكر ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٦١)، وقد اعتمد ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٦٠ - ٢٦١) قول أبي مخنف إنه مات في الثاني عشر من ربيع الأول، وقال إن الآخرين زادوا «عشر» بعد الثاني» واستمر الوهم بذلك يتبع بعضهم بعضا من غير تأمل... قلت: وأبومخنف لوط بن يحيى ضعيف لا يحتج به.

(٧) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٦/ح ٤٤٦٦)، وروى أحمد: الفتح الرباني (٢٠/ ٢٠٩/ ٢١٠) و (٢١/ ٢٦٠) بإسناد صحيح انه توفي عن ثلاثة وستين عاما. وانظر مناقشة الساعاتي للروايات التي قالت بغير هذا.

(٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٢، ٢٨٧/ح ٤٤٢٩، ٤٤٥١)، وشرح ابن حجر للحديث الأول، مسلم (٤/ ١٧٢١/ - ١٧٢٤/ح ٢١٩١ - ٢١٩٢).

(٩) البخاري/ الفتح (٣/ ٩٨ - ٩٩/ح ٤٢٥، ٤٣٦، ٤٣٧) و (٦/ ٢٤٤/ح ١٣٣٠)، مسلم (١٠/ ٤٧٥٦ - ٣٧٨/ح ٥٢٩، ٥٣٢)، مالك الموطأ، ص ٣٦٠.

(١٠) مالك: الموطأ، ص ٣٦٥.

(١١) البيهقي: دلائل النبوة (٧/ ١٦٩ - ١٨٠)، ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية، وقال عنه: «في إسناده ومتنه غرابة شديدة».

(١٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ٣٧٣/ح ٣٧٩٩ - ٣٨٠١)، مسلم (٤/ ١٩٤٩/ح ٢٥١٠).

وتجاوَزا عن مسيئهم». وقال في رواية أخرى: «إن الناس يكثرون، وتقل الأنصار، حتى يكونوا كالملح في الطعام، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه فليقبل من محسنهم، ويتجاوز عن مسيئهم[١٣].

ثم قال في آخر خطبة له: «إن عبدا خيره الله بين الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عند الله»، قال الراوي: «فبكى أبوبكر (رضي الله عنه) فعجبوا لبكائه، فكان المخير رسول الله ﷺ وكان أبوبكر أعلمهم بذلك»، فقال النبي ﷺ: «لا تبك ياأبا بكر، إن آمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر، لو كنت متخذا خليلا غير ربي لا تخذت أبابكر خليلا، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يبقين في المسجد باب إلا سُدَّ، إلا باب أبي بكر»[١٤].

وعندما حضرته الوفاة واشتد به الوجع، وذلك يوم الخميس قبل الوفاة بأربعة أيام، قال للصحابة الذين كانوا حوله بالمنزل، وفيهم عمر: «هلموا أكتب إليكم كتابا لن تضلوا بعده»، فقال عمر: «قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله»، فاختلفوا، فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ، ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما أكثروا اللغط والاختلاف، قال رسول الله ﷺ: «قوموا عني»[١٥].

وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وإجازة الوفود بنحو ما كان يجيزهم، ونسي الراوي الوصية الثالثة، ولعلها عامة وصيته حين حضره الموت وهي: «الصلاة وما ملكت أيمانكم»[١٦]، وفي لفظ: «الله الله، الصلاة وما ملكت أيمانكم»، كان يتكلم بها وما يكاد يفيض[١٧].

وقبل الوفاة بثلاث أوصى قائلا: «أحسنوا الظن بالله (عز وجل)»[١٨]،

---

(١٣) البخاري/ الفتح (٣/١٣٣/ح ٤٦٧)، مسلم (٤/ ١٨٥٤/ح ٢٣٨٢)، وغيرهما.
(١٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ـ ٦٧/ح ٤٤٣١ ـ ٤٤٣٢)، مسلم (٣/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩/ح ١٦٣٧).
(١٥) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٦/ح ٤٤٣١).
(١٦) رواه التيمي موصولا إلى أنس (رضي الله عنه) كما ذكرالذهبي في السيرة ص٥٥٧.
(١٧) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «وهذا أصح» ـ يعني من حديث التيمي. ورواه ابن ماجه. انظر: الألباني: صحيح ابن ماجه (١/ ٢٧١/ ك. الجنائز/ح ١٦٢٥)، وقال: «صحيح». وصححه أيضا الهيثمي: المجمع (٤/ ٢٣٧) وفيه عبيدالله أبوالوليد الوصافي، وهو متروك.
(١٨) رواه الذهبي في السيرة، ص٥٥٧، وقال: «هذا حديث صحيح من العوالي».

ثم اخذ يثقله المرض ويمنعه من الخروج للصلاة بالناس فقال: «مروا أبابكر أن يصلي بالناس»، فقالت عائشة: «يارسول الله، إن أبابكر رجل أسيف ـ أي رقيق ـ وإنه متى ما يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر»، فقال: «مروا أبا بكر أن يصلي»، فقالت عائشة لحفصة: «قولي له إن أبابكر رجل أسيف وإنه متى... فقال ﷺ: «إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبابكر أن يصلي بالناس....» ولما لم يكن أبوبكر موجودا في تلك اللحظات، دعا عبدالله بن زمعة عمر ليصلي بالناس، فعندما سمع الرسول ﷺ صوته، قال: «يأبى الله ذلك والمسلمون ـ مرتين ـ» فبعث إلى أبي بكر، فجاء فصلى بالناس[١٩].

وظل أبوبكر يصلي بالناس تلك الأيام، وفي أحدها وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبوبكر يصلي بالناس، وعندما رآه أراد أن يتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، فأجلسه بجانبه، فجعل أبوبكر يصلي وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ والناس يصلون بصلاة أبي بكر[٢٠].

وقبل يوم من وفاته، أعتق غلمانه[٢١]، وتصدق بدنانير ـ ما بين التسعة والسبعة ـ كانت عنده[٢٢]، وقال: «لا نورث ما تركنا صدقة...»[٢٣] وفي رواية «لا يقتسم ورثتي دينارا، ماتركت بعد نفقة نسائي ومؤنة عاملي فهو صدقة»[٢٤] ولذا لم يترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل

---

(١٩) أحمد: الفتح الرباني (٢١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧) من طريق ابن إسحاق، قال الساعاتي: «وحديث الباب صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبي»، أبوداود: السنن (٥/ ٤٧ ـ ٤٨) من طريق ابن إسحاق بإسناد حسن، ويونس بن بكير من حديث ابن إسحاق بإسناد حسن، كما نقله عنه ابن كثير في البداية (٥/ ٢٦١).

(٢٠) البخاري (١/ ١٧٥/ ك. الصلاة/ ب. الرجل يأتم بالإمام/ رقم ٦٨ واللفظ للبخاري، مسلم (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤/ح ٤١٨).

(٢١) ابن سعد (٢/ ٣١٦ ـ ٣١٧) من عدة طرق تتقوى بعضها ببعض ولها شاهد من حديث البخاري أن الرسول ﷺ لم يترك عند موته عبدا ولا أمة.

(٢٢) ابن سعد (٢/ ٢٣٧ ـ ٢٣٨٩) من عدة طرق تتقوى ببعضها البعض.

(٢٣) البخاري/ الفتح (٢٥/ ٢١٢٧ ـ ١٣٠/ح ٦٧٢٦ ـ ٦٧٢٨، ٦٧٣٠)

(٢٤) البخاري/ الفتح (٢٥/ ١٢٩/ح ٦٧٢٩).

صدقة[٢٥].

واستعارت عائشة (رضي الله عنها) في الليل الزيت للمصباح من جارتها[٢٦] وكانت درعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعا من الشعير[٢٧]. ولعل باقي هذه الثلاثين صاعا هو ما ذكرته عائشة (رضي الله عنها) في قولها: «لقد توفى النبي ﷺ وما في رفي من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فاكلته ففني»[٢٨]. ولم تشر الروايات إلى ما تبقى من الثلاثين صاعا في بيوت زوجاته الأخريات.

وكانت الأشياء مثل البغلة والحربة والكسوة والسلاح والسرير وقفا يتجمل به الأئمة المسلمون بعده ويتبركون به كما كان يتجمل به، وكان ذلك في أيدي الأئمة واحدا بعد واحد[٢٩].

وفي اليوم الذي مات فيه، فاجأ الرسول ﷺ المسلمين بكشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم يصلون الصبح، ثم تبسم، فنكص أبوبكر على عقبيه ليصل الصف، ظنا منه أن الرسول ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتنوا في صلاتهم فرحا برسول الله ﷺ، فأشار اليهم بيده أن اتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر[٣٠].

وعند الضحى دعا إليه ابنته فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسئلت عن ذلك بعد وفاته ﷺ، فقالت «سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني

---

(٢٥) البخاري/ الفتح (١٦/٢٨٣/ح ٤٤٦١) - وفي هذا الحديث دليل على أن من ذكر من رقيق للنبي ﷺ في جميع الأخبار كان إما مات وإما أعتق قبل وفاته، واستدل به على عتق أم الولد بناء على أن مارية أم إبراهيم عاشت بعد النبي ﷺ وأما على قول من قال إنها ماتت في حياة الرسول ﷺ فلا حجة فيه - انظر ابن حجر: الفتح (١١/٩٥). قلت: إنما الحجة في قوله ﷺ عندما ولدت له ابراهيم: «أعتقها ولدها...» رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/٣٤٦) ويتقوى بالشواهد والمتابعات التي ذكرها الماردیني في الجوهر النقي في ذيل السنن الكبرى.

(٢٦) قاله ابن رجب الحنبلي في: «مجالس من سيرة النبي ﷺ»، بتحقيق ياسين السواس ومحمود الأرناؤوط، ص ١٠٤، دون إسناد.

(٢٧) البخاري/ الفتح (١٦/٢٨٦/ح ٤٤٦٧) و (١٠/١٣٠/ح ٢٥٠٩).

(٢٨) البخاري/ الفتح (٢٤/٦٣ - ٦٤/ح ٦٤٥١)، ومسلم (٤/٢٢٨٣/ح ٢٩٧٣).

(٢٩) حماد بن إسحاق بن إسماعيل: تركة النبي ﷺ والسبل التي وجهها فيها، تحقيق الدكتور أكرم العمري، ص ١١٣.

(٣٠) البخاري/ الفتح (١٦/٢٧٧/ح ٤٤٤٨).

أني أول أهله يتبعه ـ يلحقه ـ فضحكت[٣١]»، وفي رواية أن سبب ضحكها كان لقول الرسول ﷺ لها: «يافاطمة، أما تَرْضَيْنَ أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة. . . .؟»[٣٢].

والحديث دليل من دلائل نبوته ﷺ لأن فاطمة (رضي الله عنها) كانت أول الناس لحوقا به (عليه السلام) من أهله.

ولما رأت فاطمة ما بأبيها من الوجع الشديد، قالت: «واكرب أباه»، فقال لها الرسول ﷺ: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم»[٣٣].

وكان بين يدي رسول الله ﷺ ركوة أو علبة ماء، يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»[٣٤].

وبعد هذا ثقل عليه المرض فأصبح لا يتكلم، ولذا فعندما دخل عليه أسامة بن زيد (رضي الله عنه) دعا له بالإشارة[٣٥].

ويبدو أن ذلك كان الوقت الذي لَدُّوه فيه، أي جعلوا في جانب فمه دواء بغير اختياره، وهو يشير إليهم بألايفعلوا ذلك، وهم يظنون أن ذلك كان منه كراهية المريض للدواء[٣٦]، ولكنه كان ينفي عنه تهمة الإصابة بمرض ذات الجنب الذي ظنوه[٣٧] به، وهو نوعان: أحدهما ورم حار يعرض في الغشاء المستبطن، وهو المنفي عنه هنا، وثانيهما: ريح محتقن بين الأضلاع[٣٨].

وقد روى أبويعلى بسند فيه ابن لهيعة من وجه اخر عن عائشة أن النبي ﷺ مات من ذات الجنب. ويمكن الجمع بين الحديثين بأن الجنب المعنية هنا هي الريح المحتضنة بين الأضلاع[٣٩].

---

(٣١) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٦٧ - ٢٦٨/ح ٤٤٣٣ - ٤٤٣٤) مسلم (٤/ ١٩٠٤/ح ٢٤٥٠).
(٣٢) البخاري/ الفتح (١٤/ ١٢٤/ح ٣٦٢٣)، مسلم (٤/ ١٩٠٥/ح ٢٤٥٠).
(٣٣) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨٣ - ٢٨٤/ح ٤٤٦٢).
(٣٤) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٣٥) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٣٩٨).
(٣٦) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٨١ - ٢٨٢/ح ٤٤٥٨).
(٣٧) رواه عبدالرزاق بإسناد صحيح عن أسماء بنت عميس، كما قال ابن حجر في الفتح (١٦/ ٢٨٢)، وابن سعد (٢/ ٢٣٥) بإسناد فيه عبدالرحمن بن أبي الزناد وهو صدوق، ويقويه حديث عبدالرزاق وغيره من الشواهد الأخرى التي ساقها ابن سعد.
(٣٨) ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٣).
(٣٩) قاله ابن حجر: الفتح (١٦/ ٢٨٢ - ٢٨٣).

ثم بدأت اللحظات الأخيرة من حياته ﷺ. فبينما كان في حجر عائشة، دخل عليه عبدالرحمن بن أبي بكر وفي يده سواك، فنظر إليه الرسول ﷺ، فعلمت عائشة أنه يريد السواك، فتناولته ولينته له فاستاك به، وعندما فرغ منه رفع يده وأصبعه وشخص ببصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة، وهو يقول: «مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني، وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى»، كررها ثلاثا[٤٠] وكان هذا آخر ما تكلم به[٤١]، ثم مالت يده ولحق بالرفيق الأعلى[٤٢].

وكان ذلك حين اشتد الضحى[٤٣] أو في منتصف النهار[٤٤]، فقالت فاطمة: «يأبتاه، أجاب رباً دعاه، يأبتاه، من جنة الفردوس مأواه، يأبتاه، إلى جبريل ننعاه»[٤٥].

ولم يصدق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) نبأ وفاة الرسول ﷺ فأخذ يقول: «إن رسول الله ﷺ لم يمت ولكن ربه أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فمكث عن قومه أربعين ليلة. والله إني لأرجو أن يعيش رسول الله ﷺ حتى يقطع أيدي رجال من المنافقين وألسنتهم يزعمون ـ أو قال: يقولون ـ إن رسول الله ﷺ قد مات»[٤٦].

وجاء أبوبكر من السُّنح، فكشف عن وجه النبي ﷺ، ثم قبله وبكى وقال: «بأبي أنت وأمي لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتب عليك فقد متها»، ثم خرج إلى الناس، وهم بين منكر ومصدق، لهول

---

(٤٠) البخاري/ الفتح (١٦/٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٤١) البخاري/ الفتح (١٦/٢٨٥/ح ٤٤٦٣)، ومسلم (٤/١٨٩٤/ح ٢٤٤٤) وغيرهما.
(٤٢) البخاري/ الفتح (١٦/٢٧٨/ح ٤٤٤٩).
(٤٣) ابن إسحاق، بإسناد متصل ولكن لم يصرح فيه بالسماع ـ ابن هشام (٤/٤٠٤).
(٤٤) الطبري: التاريخ (٣/ ٢٠٠) من رواية في إسنادها الكلبي وأبو مخنف وهما متروكان في الحديث.
(٤٥) البخاري/ الفتح (١٦/٢٨٤/ح ٤٤٦٢).
(٤٦) أحمد الفتح الرباني (٢١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢)، ابن سعد (٢/ ٢٦٦)، عبدالرزاق: المصنف (٥/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤)، وجميعهم من طريق الزهري عن أنس، وإسنادهم صحيح. ورواه ابن إسحاق بإسناد متصل من طريق الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة، ولم يصرح فيه بالسماع، ويتقوى بالشواهد والمتابعات المذكورة ـ ابن هشام (٤/٤٠٦).

الأمر، فرأى عمر وهو يكلم الناس منكرا موت الرسول ﷺ، فطلب منه أن يجلس، فأبى، فأقبل الناس إلى أبي بكر وتركوا عمر، فحدثهم أبوبكر قائلا: «أما بعد: من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا، وسيجزي الله الشاكرين﴾(٤٧). فهدأ الناس وكأنهم لم يسمعوا الآية من قبل، وقعد عمر على الأرض لا تحمله رجلاه لما علم بموت الرسول ﷺ(٤٨).

وفي يوم الثلاثاء، وهو اليوم التالي لوفاته ﷺ، غسلوا رسول الله ﷺ في ثيابه(٤٩)، غسله العباس وعلي والفضل وقُثَم ابنا العباس وشُقْران مولى رسول الله وأسامة وأوس بن خولي(٥٠).

ثم كفنوه في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، ليس فيها قميص ولا عمامة(٥١).

ثم حفروا له قبرا في حجرة عائشة(٥٢).

وصلى عليه الناس أرسالا أرسالا، يدخلون من باب فيصلون عليه، ثم يخرجون من الباب الآخر، لا يؤمهم أحد(٥٣). وقيل صلى عليه أولا بنو

---

(٤٧) آل عمران: ١٤٤.

(٤٨) البخاري/ الفتح (١٦/ ٢٧٩ - ٢٨٠/ح ٤٤٥٢ - ٤٤٥٤).

(٤٩) ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٤١٦) ورواه غيره من هذا الطريق.

(٥٠) ابن إسحاق، بإسناد حسن فيه حسين بن عبدالله، وهو ضعيف - ابن هشام (٤/ ٤١٥).

(٥١) البخاري/ الفتح (١٦/ ١٦٤/ح ١٢٦٤)، مسلم (٢/ ٦٤٩ - ٦٥٠/ ٩٤١)، ابن إسحاق، بإسناد حسن - ابن هشام (٤/ ٤١٦) - وسحولية يعني نقية أو منسوبة إلى سحول وهي مدينة باليمن، تحمل منها هذه الثياب، والكرسف: القطن.

(٥٢) ابن إسحاق بإسناد فيه حسين بن عبدالله - ابن هشام (٤/ ٤١٦ - ٤١٧)، ابن سعد (٢/ ٢٩٢) بأسانيد مختلفة، والتي من طريق أبي الوليد الطيالسي صحيحة. وهو خبر مشهور، وممن وراه: ابن ماجه في السنن (١/ ٥٢١/ ك. الجنائز)، قال ابن عبدالبر: «... ولكنه صحيح من وجوه مختلفة وأحاديث شتى جمعها». نقله فؤاد عبدالباقي في حاشية الموطأ (١/ ٢٣١) فيكون الحديث صحيحا من طريق الطيالسي، وتتقوى الطرق الأخرى الضعيفة وتعتضد بعضها ببعض ويشهد لها حديث الطيالسي.

(٥٣) أحمد الفتح الرباني (٢١/ ٣٥٣ - ٣٥٤)، وقال الساعاتي: «... ورواه الهيثمي وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» ورواه ابن سعد (٢/ ٢٨٨ - ٢٩٢) من عدة طرق أحدها طريق أحمد هذا. وقال ابن كثير في البداية (٥/ ٢٩٩: «وهذا الصنيع - وهو صلاتهم عليه فرادى - أمر مجمع عليه لا خلاف فيه».

هاشم، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس حتى فرغوا، ثم النساء، ثم الصبيان[٥٤]، ثم العبيد[٥٥].

ثم دفنوه في ليلة الأربعاء[٥٦].

إنا لله وإنا إليه راجعـون! إنا لله وإنا إليه راجعون!!.

ولا يملك المرء المسلم إلا أن يبكي مع حسان[٥٧]، وهو ينشد:

فَبْكِيْ رسـول اللـه ياعيـنُ عبـرة * ولا أعرفنـك الدهـر دمعك يجمـد
ومالك لا تبكيـن ذا النعمـة التي * علـى النـاس منهـا سابـغ يتغمـد
فجـودي عليه بالدمـوع وأعولـي * لفقـد الذي لا مثله الدهـر يوجد
وما فقـد الماضـون مثـل محمـد * ولا مثلـه حتـى القيامـة يفقـد

عظـات وعبـر وأحكـام ووصايـا:

١ ـ كفى بالموت عظة وعبرة... لقد شاء الله تعالى أن يكون الموت نهاية كل إنسان مهما طال عمره، ومهما كان موقعه من الحياة، وتلك سنة الحياة كما عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وما جعلنا لبشرٍ من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون؟ كل نفس ذائقة الموت ونَبلوكُم بالشر والخير فتنة، وإلينا ترجعون﴾[٥٨]، وفي قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾[٥٩]. فها هو محمد بن عبدالله خير البشر، يموت بعد أن عانى من سكرات الموت وآلام المرض... وإذا وعى الناس هذه الحقيقة استشعروا معنى العبودية والتوحيد، وخضعوا لله الواحد القهار، واستعـدوا للموت بالإكثار من العمل الصالح وطاعة الله وإخلاص

---

(٥٤) ابن سعد (٢/ ٢٩١) من رواية الواقدي.
(٥٥) الطبري التاريخ (٣/ ٢١٣) من رواية ابن اسحاق، ولم يصرح بالسماع، وفيه حسين بن عبدالله وهو ضعيف
(٥٦) ابن إسحاق، بإسناد حسن ـ ابن هشام (٤/ ٤١٨).
(٥٧) من داليته في رثاء الرسول ﷺ عن أبي زيد الأنصاري وهي قصيدة طويلة من ستة وأربعين بيتا ـ انظر ابن هشام (٤/ ٤٢٤).
(٥٨) الأنبياء: ٣٤ ـ ٣٥.
(٥٩) الزمر: ٣٠.

العبادة له في كل مجال من مجالات الحياة، لا سيما عبادة الله في تحكيم شرعه والجهاد في سبيل ذلك، لأن الله يزع بالسلطان ما لايزع بالقرآن، لأن الله تعالى الذي خلق البشر خبير بما يصلحهم في الدنيا والاخرة... ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[٦٠].

٢ - مشروعية الرقية - التعويذ - ما ثبت في ذلك في الصحيحين. وقد نقل النووي[٦١] وابن حجر[٦٢] وغيرهما الاجماع على مشروعية الرقي عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته وأن يكون باللسان العربي أو بما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بذات الله تعالى.

٣ - بيان فضل أبي بكر الصديق عندما أمر الرسول ﷺ على أن يؤم الناس.

٤ - النهي عن اتخاذ القبور مساجد.

٥ - لقد تضمن ما سقناه من أحاديث في خبر مرض وفاته ﷺ دروساً وعظات وعبراً وأحكاما يستطيع المرء أن يستنبطها بيسر.

---

(٦٠) الملك: ١٤.

(٦١) شرح مسلم (١٤/ ١٦٩).

(٦٢) فتح الباري (١٩/ ٣٢٠/ ك. الطب/ شرح أحاديث باب الرقي بالقرآن والمعوذات).